الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين :

الثانية من مسائل الجاهلية : أنهم متفرقون في دينهم كما قال تعالى ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣٢] ، **وكذلك في دنياهم ويرون أن ذلك هو الصواب ، فأتى بالاجتماع بالدين بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾** [الشورى:١٣] ، **وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾** [الأنعام:١٥٩] ، **ونهانا عن مشابهتهم بقوله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾** [آل عمران:١٠٥] ، **ونهانا عن التفرق في الدنيا بقوله : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾** [آل عمران:١٠٣] .

****

هذه المسألة الثانية من مسائل الجاهلية التي خالفها النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان رحمه الله تعالى بدأ أول ما بدأ بذكر كبرى المسائل ؛ وهي الشرك بالله عز وجل الذي هو أظلم الظلم وأكبر الذنوب على الإطلاق . ثم بدأ رحمه الله بذكر المسألة الثانية مما كان عليه أهل الجاهلية ألا وهو: التفرق ؛ فكان أهل الجاهلية متفرقين لأنه ليس هناك شيء يجمعهم ، العقائد التي كانوا عليها عقائد باطلة ، والأديان التي كانوا يدينون بها أديان باطلة ، ومن المعلوم أن الباطل يفرق ولا يجمع ، وإنما الذي يجمع هو الحق والهدى ، ولهذا قيل عن أهل الحق «أهل الجماعة» لأن الحق هو الذي يجمع ، وقيل عن أهل الباطل «أهل الفرقة» لأن الباطل يفرّق أهله ولابد .

فأهل الجاهلية كانوا متفرقين ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر:١٤] ، العقائد التي يعتقدونها متفاوتة ؛ عبدوا أربابًا متفرقين ؛ فتفرقوا في أنفسهم واختلفوا ، ونشبت بينهم العداوات ، وأريقت فيهم الدماء ، وكثرت فيهم الفتن ، وذلك كله لإعراضهم عن الحق والهدى ، ولهذا فإن الحق والهدى يؤلف بين القلوب المتنافرة ويجمع شتات الناس ويلم شعثهم ويوحّد كلمتهم ويلم صفهم وتتحقق به سعادتهم ، أما إذا كانوا على الباطل فإنهم يتفرقون شذر مذر .

إذًا من خصال الجاهلية التي كانوا عليها التفرق ؛ والتفرق الذي كانوا عليه ليس تفرقًا في الدين فقط ، بل هم متفرقون في الدين والدنيا ؛ أما في الدين : فكلًا منهم له عقيدته له مذهبه الذي أملاه عليه هواه أو ميوله أو رغبته

أو نحو ذلك ، والتفرق في الدين لأن بينهم أطماعٌ دنيوية لاحد لها يتقاتلون عليها وتراق دمائهم وتُنتهك الأعراض وتستلب الأموال في حروب طاحنة قد تمضي السنوات الطوال فكانوا متفرقين في الدين والدنيا ؛ ولهذا قال رحمه الله تعالى : «**أنهم** -أي أهل الجاهلية- **متفرقين في دينهم كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾** [الروم:٣٢] »؛ كل حزب أي فئة منهم أو طائفة بما لديهم أي من دينٍ أو عقيدة أو نِحلة أو مذهب فرحون؛ أي كلٌ منهم يرى أن الذي عنده هو الحق وأن الذي عند غيره هو الباطل ، والحق وراء ذلك كله ، بل هم متفرقون في الباطل والأهواء كُلٌ فرح بما عنده وما عنده باطل لا خير فيه ، ضلال لا هدى فيه.

قال : «**وكذلك في دنياهم أي متفرقين في الدنيا ويرون ذلك هو الصواب**» ؛ وانتبه هنا إلى قول المصنف رحمه الله «ويرون ذلك هو الصواب» أي يرون ما هم عليه من تفرقٍ واختلافٍ وعداواتٍ في الدين والدنيا يرون ذلك هو الصواب ، وكل فئة من هؤلاء ترى أن العز والمَنَعَة والقوة بالانتصار للباطل التي هي عليه ومقاومة الآخرين ، والآخرون كذلك ، ثم القوي منهم يبطش بالضعيف ، وأصبحت حياتهم بسبب هذا التفرق أشبه ما يكون تمامًا بحياة الحيوانات المفترسة في الغابات ؛ ولهذا تسمى الشريعة التي هم عليها "شريعة الغاب " ؛ لأنهم يمارسون تماما ما تمارسه الأسود والحيوانات المفترسة في الغاب ، القوي منهم يأكل الضعيف ويتسلط عليه ويريق دمه وينتهك عرضه، إلى غير ذلك من الشرور العظيمة الكبيرة التي كانوا عليها وكانوا يعيشونها .

حتى قوله «**ويرون ان ذلك هو الصواب**» كم عندهم من الأشعار التي يمدحون فيها هذا الباطل الذي هم عليه ، ويمدحون الانتصارات التي يحققونها في قتل من يسمونهم الأعداء ، وهم كلهم أعداء لدين الله وأعداءٌ للحق والهدى، لكنهم يتطاحنون ويتقاتلون على ضلال وباطل وضياع في الدنيا وفي الآخرة .

قال: «**فأتى بالاجتماع**» ؛ أي النبي عليه الصلاة والسلام أتى بالاجتماع ، فمن أعظم ما دعا إليه عليه الصلاة والسلام الاجتماع وذم الفرقة .

قال: «**فأتى بالاجتماع في الدين**» ولا يمكن أن يكون اجتماع إلا في الدين ؛ فأتى عليه الصلاة والسلام بالاجتماع في الدين: أي دعا الناس إلى أن يجتمعوا على دين واحد ، على عقيدة واحدة ، على عبادة رب واحد ، على لزوم شرع واحد ، على إتباع نبي واحد خُتمت به الرسالات ، على لزوم كتاب الله عز وجل ووحيه وتنزيله ، دعا عليه الصلاة والسلام إلى هذا الاجتماع ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣] ، ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:١٣] ؛ فدعاهم عليه الصلاة والسلام إلى أن يجتمعوا على دينٍ واحد ألا وهو دين الله عز وجل دين الإسلام الذي رضيه الله سبحانه وتعالى لعبادة دينا ولا يقبل دينًا سواه ،﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل

عمران:١٩] ، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[آل عمران:٨٥] ، ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[المائدة:٣] ؛ فدعا عليه الصلاة والسلام عموم الناس إلى أن يجتمعوا على هذا الدين دين الإسلام الذي يؤلف بين القلوب المختلفة والأنفس المتفرقة ويجمعهم على أحسن ما يكون من اجتماع وإتلاف .

قال: «**فأتى بالاجتماع بالدين بقوله ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾**»؛ الذي وصى به جل وعلا هؤلاء الأنبياء ، وخصوا بالذكر لأنهم أولي العزم من الأنبياء وعددهم خمسة الذي ، الذي وصى به هؤلاء وغيرهم من أنبيائه ورسله عليهم صلوات الله وسلامه هو ما ذكره في تمام الآية بقوله: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ ؛ «أن أقيموا الدين» أي الذي شرع الله لكم وأمركم به وأنزل به كتبه وبعث به رسله ، «أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» بل أحذروا من الفرقة ومن أسبابها وموجباتها وألزموا دين الله تبارك وتعالى واجتمعوا عليه .

قال: «**وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾**[الأنعام:١٥٩] » ؛ وهذه الآية ساقها المصنف رحمه الله هنا لأن فيها ذمًا للفرقة وأهلها، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾ أي أحزابًا وطوائف لست منهم في شيء ؛ وهذا فيه دعوة للنبي صلى الله عليه وسلم أن يتبرأ ممن كانت هذه حاله ، قال ﴿ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ أي لست منهم وليسوا منك ، ليسوا على نهجك ولست على نهجهم ، أنت منهم براء ، قال: ﴿ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ لأن الذي كان عليه علية الصلاة والسلام اجتماع وأُلفة على الحق والهدى ، وهؤلاء الذي هم عليه افتراقٌ واختلاف وفرقةٌ على الباطل والردى ؛ فذم الله سبحانه وتعالى سبيلهم وبرأ نبيه صلى الله عليه وسلم منهم ومن حالهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ .

«**ونهانا عن مشابهتهم**» أي في ما كانوا عليه من فرقة وضلال «**فقال سبحانه ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾**[آل عمران:١٠٥] » أي احذروا أن تسلكوا سبيل هؤلاء الذين هم أهل فرقة وضلال وباطل، لا تكونوا مثلهم ولا تتشبهوا بهم .

ثم قال رحمه الله : «**ونهانا عن التفرق في الدنيا بقوله ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾**[آل عمران:١٠٣] » نهى عليه الصلاة والسلام عن التفرق في الدنيا أي من أجل الدنيا ، ولا تساوي الدنيا شيئا بحيث إنها تكون سببا لفرقةٍ بين

المؤمنين أو عداواتٍ بين المسلمين ، فالإسلام الذي هم عليه هو المعيار الذي تجتمع عليه القلوب وتأتلف النفوس، ولا يجوز لأهل الإسلام أن تنشب بينهم فرقة وعداوات من أجل الدنيا التي سيفارقونها أجمعين ولا يبقون فيها ، فالدنيا لا تساوي أن تنشب بين أهل الإسلام عداوات لأجلها ؛ فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الفرقة لأجل الدنيا ، وجاء عنه عليه الصلاة والسلام أحاديث عديدة في ذم التهاجر فوق ثلاث بسبب الأمور الدنيوية ، لأنه قد يقع نزاعات وخلافات في أمور دنيوية فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث أيام أو ثلاث ليال بسبب الأمور الدنيوية والمصالح الدنيوية ، فنهى عليه الصلاة والسلام عن التفرق في الدنيا .

وأورد المصنف رحمه الله تعالى دليلًا على ذلك وهو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ، ووجه الدلالة من هذه الآية : ما ذكره جماعة من المفسرين في معنى الآية أنها جاءت في سياق الامتنان على الأوس والخزرج الذين كانت قد نشبت بينهم حروب طاحنة قبل الإسلام وقتالٌ طويل ودماءٌ أريقت وأنفس أزهقت ، فجاءت هذه الآية في سياق الامتنان عليهم بمنة الإسلام الذي أذهب عنهم جاهلية الفرقة والقتال وإراقة الدماء والعداوات التي مبنية على ضلال وباطل ، فجاءت الآية في سياق الامتنان عليهم بمنة الله عز وجل بالاجتماع على الدين والحذر من الفرقة في الدنيا التي كان عليها أولئك ، قال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ ؛ فهي جاءت في سياق الامتنان على هؤلاء الذين كانوا أعداء متفرقين لأجل الدنيا متحاربين عليهم متعادين متباغضين ، فجاءت هذه الآية تدعوهم إلى الاجتماع والاعتصام والألفة في سياق الامتنان عليهم بمنة الله عليهم إذ أنقذهم بالإسلام من الجاهلية والتفرق والقتال والعداوات العظيمة التي نشبت بينهم سنوات طوال وعمرٍ مديد . إذًا هذه من الخصال العظيمة التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام ألا وهي الاجتماع مخالفًا بذلك الفرقة التي كان عليها أهل الجاهلية .

وأنتبه هنا إلى ان نبينا عليه الصلاة والسلام مع تحذيره أمته من الاختلاف في الدين والاختلاف في الدنيا أيضًا أخبر في الوقت نفسه أن الاختلاف سيوجد ، وأخبر بذلك محذرا منه ومن أسبابه ، ولهذا جاء عنه عليه الصلاة والسلام أحاديث عديدة في هذا المعنى كقوله عليه الصلاة والسلام : ((إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة)) ؛ الشاهد من الحديث قوله ((إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا)) قال ذلك على وجه التحذير للأمة ، ولهذا أرشد عليه الصلاة والسلام في السياق نفسه دون أن يُسأل عن موجبات الاجتماع والسلامة من الفرقة فقال : ((فعليكم بسنتي)) ثم قال: ((إياكم ومحدثات الأمور)) .

أيضا صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة)) ، قال ذلك عليه

الصلاة والسلام محذرا من الافتراق ومبينًا خطر الافتراق وأنه لا يجلب على الناس خيرًا ، بل يجلب عليهم شرورا كثيرة وأضرار عظيمة . ولهذا ينبغي على كل مسلم أن يحذر من جاهلية الافتراق التي كان عليها أهل الجاهلية وجاء الإسلام بذمها والتحذير منها . والواجب على كل مسلم في هذا الباب أن يبحث عن أسباب الاجتماع والألفة والوحدة بين أمة الإسلام فيسعى في تحقيقها ، وأن يعرف أيضا أسباب الافتراق ليحذر منها ويبتعد عنها .

ويجب -أيها الإخوة- أن نعلم هنا أن أعظم أسباب الافتراق وجود مخالفات الدين من الشرك والعياذ بالله والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان ، فإن مثل هذه الأمور إذا وُجدت بين الناس فرَّقت صفهم . وكما قلنا فيما سبق كما أن الحق يجمع فإن الباطل يفرق ، ولهذا الشرك إذا وُجد والبدعة إذا وجدت والضلالات إذا وجدت فرقت الناس ، ولا يمكن أن يجتمع الناس إلا على حبل الله ، لا يمكن أن يجتمعوا على البدع والأهواء والضلالات ، بل لا يمكن أن يجتمعوا إلا على حبل الله المتين ودينه القويم الذي بعث الله سبحانه وتعالى به أنبيائه ورسله عليهم صلوات الله وسلامه .

فالواجب على كل مسلم أن يجاهد نفسه على تحقيق الاجتماع والألفة؛ وذلك بحفظ الدين الذي يجمع ، وأن يحذر أشد الحذر من الفرقة؛ وذلك بالبعد عن الأهواء التي تفرق ، ولهذا ما أجملها من كلمة تداولها السلف وأهل السنة قديما وحديثا حيث يقولون : «أهل السنة والجماعة ، وأهل البدعة والفرقة »كلمة عظيمة جدا ، «أهل السنة والجماعة» لماذا؟ لأن السنة تجمع ، والبدعة ماذا تصنع ؟ تفرق. البدعة إذا وجدت بين الناس فرقتهم ، والسنة إذا وجدت بين الناس جمعتهم . ولهذا لاحظ ملاحظة عجيبة جدًا ؛ أن نبينا عليه الصلاة والسلام عندما قال : ((إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا)) نبه في الوقت نفسه إلى ما يحقق الاجتماع ودعاء إليه وإلى ما يوجب الفرقة وحذر منه ، لاحظتم عندما قال ((إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا)) نبه في الوقت نفسه على ما يحقق الاجتماع ودعاء إليه وهو السنة قال ((عليكم بسنتي)) ، ونبه في الوقت نفسه على ما يسبب الفرقة وحذر منه فقال ((وأياكم ومحدثات الأمور)) ؛ فمحدثات الأمور تفرق الناس ، وسنته عليه الصلاة والسلام تجمع الناس وتؤلف بينهم . ولهذا من أراد لنفسه ولأمة الإسلام أن تجتمع فليكن داعيةً إلى السنة محذرا من البدعة ، لأن السنة هي التي تجمع الناس ، والبدع هي التي تفرق الناس ، وإذا أردت شاهد ذلك ودليله فانظر حال الناس قبل مبعثه وحالهم بعد مبعثه ما لذي جمعهم ؟ لم يجمعهم إلا الحق والهدى الذي بُعث به عليه الصلاة والسلام ودعاء الناس إليه من إقامة التوحيد وإخلاص الدين لله تبارك وتعالى وإتباع نبيه صلى الله عليه وسلم ولزوم ما جاء به والحذر من الضلالات والأهواء والجاهليات والأباطيل ؛ هذا الذي اجتمع عليه الناس واتحدت كلمتهم بمبعثه صلوات الله وسلامه عليه .

هذه الخصلة الثانية والمسألة الثانية من مسائل الجاهلية التي جاء الإسلام بمخالفتها والتحذير منها .

قال رحمه الله تعالى :

الثالثة : أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة والسمع والطاعة له ذل ومهانة ؛ فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالصبر على جور الولاة ، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة ، وغلظ في ذلك وأبدأ فيه وأعاد. وهذه الثلاث هي التي جمع بينها فيما صح عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين أنه قال: ((إن الله يرضى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم))، ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها.

****

ثم ذكر رحمه الله المسألة الثالثة قال: «**إن مخالفة ولي الأمر** -أي من ولي أمر الناس- **إن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة والسمع والطاعة له ذل ومهانة**» هذه ما هي؟ هذه جاهلية كان عليها أهل الجاهلية قبل الإسلام ومبعث النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ؛ كانوا يرون أن مخالفة ولي الأمر يعني إذا كان وليهم أمير أو تولى عليهم والٍ يرون أن مخالفته وعدم الانقياد له فضيلة ، ويعدون هذا نوع من الرجولة ونوع من الجدارة ونوع من الشهامة ونوع من العزة ألا يسمع ولا يطيع ، وتجد الواحد منهم يقول في نفسه أنا أكبر من أن أسمع وأطيع ، هذه جاهلية كانوا عليها ، وعند أدنى مبرر يأنف من السمع والطاعة ؛ انظر شاهد ذلك في أهل الكتاب ماذا قالوا ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ [البقرة:٢٤٧] عند أدنى مبرر تجده تأتيه أنفه وتعالي وكبرياء ويشق عصا الطاعة ؛ هذه جاهلية كانوا عليها ، يرونها فضيلة ويتفاخرون بها أنه لا يسمع ولا يطيع وأن هذا نوع من الرجولة التي يتميزون بها والشهامة التي يتميزون بها والفضائل التي يختصون بها أنه لا يسمع ولا يطيع ، "أنا أسمع وأطيع!!" يقول "أسمع لفلان وأطيع لفلان!! لا ما أسمع له ولا أطيع ولاكرامة.." إلى آخرة ، ثم يتفاخرون في أشعارهم ويمتدحون أنفسهم أنه لا يسمع ولا يطيع .

فكانوا يعدون مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة والسمع والطاعة له ذل ومهانة ؛ أن سمعه وطاعته لولي الأمر ذل ومهانة له يقول "كيف أبقى ذليل !! هذا ملك علي أو هذا وال علي أو هذا أمير علي !! أنا أمير نفسي ، أنا ليس لي أمير ولا يمكن أقبل إمارة لأحد على نفسي" هذه الجاهلية التي كانوا عليها هي التي جعلت أمورهم كلها فوضى ودائما في انشقاقات وفي تصدع وفي قتال وفي خلافات إلى آخره ؛ لماذا؟ -لاحظوا يا إخوان- لأن أمر الناس لا يتحقق إلا باجتماع ، ولا اجتماع إلا بأمير ، ولا أمير إلا بسمع وطاعة منتظمة .

أمور الناس ومصالح الناس لا يمكن أن تتحقق إلا بأمير وتفكر في هذا الأمر قليلا ؛ عندما يكون أناس في مجتمع وليس عليهم والي ، ليس هناك والي يسوس الناس كيف يصبح حال الناس؟ إذا كانوا كلٌ والي نفسه وكلٌ أمير

نفسه كيف يصبح حال الناس؟ والله تكون حالهم أقبح من حال الوحوش في الغابات ، إلا إذا كان عليهم أمير وينظِّم أمرهم ويسوسهم ولهذا قيل :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة لهم إلا إذا جهَّالهم سادوا

فالناس ما يصلحون فوضى بدون أمير ، إذًا لا تتحقق المصالح إلا باجتماع ، ولا اجتماع إلا بأمير ، ولا أمير إلا بسمع وطاعة ؛ إذا وجد الأمير والناس الذين من تحته كل واحد منهم يقول أنا أكبر من أن أسمع لهذا وأطيع ، أو آخر يقول : أنَّ يكونوا له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ، يقول " أنا أولى بالملك من فلان ، أنا فلان ابن فلان ابن فلان أنا أولى من هذا وأجدر منه بالملك ، وأنا عندي أموال كثيرة وأنا كذا وأنا كذا" ؛ فيأنف من السمع والطاعة ويتعالى ويتكبر على ذلك ، فهذه الجاهلية التي كانوا بها هي التي فرقتهم ؛ فجاء الإسلام بالاجتماع ، وجاء أيضا بوجوب تنصيب الوالي والسمع والطاعة له ، وجاء في هذا الباب أحاديث كثيرة جدًا حتى إن من اهتمام النبي عليه الصلاة والسلام بمسألة السمع والطاعة لولي الأمر جعلها مضمومة إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ومباني الإسلام الموجبة لدخول الجنة ، وقد قال ذلك في حجة الوداع في آخر حياته عليه الصلاة والسلام في حديثه الصحيح قال: ((أعبدوا ربكم ، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة مالكم ، وأطيعوا ذا أمركم ؛ تدخلوا جنة ربكم)) ، فذكر طاعة ولي الأمر السمع والطاعة لولي الأمر مع إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ضمها إلى مباني الإسلام قال: ((تدخلوا جنة ربكم)) .

ومن الناس الذين دخلت عليهم هذه الجاهلية –جاهلية عدم السمع والطاعة لولي الأمر– تجده إذا قرأت عليه الأحاديث التي في الأمر بالصلاة يقبلها ، أحاديث في إيتاء الزكاة يقبلها ونفسه تنشرح لها ، تقرأ عليه أحاديث في الصيام تنشرح لها ، تقرأ عليه أحاديث في الإمارة والسمع والطاعة تنقبض نفسة وتنكمش وينفر منها! لماذا؟ إلا لكون هذه الجاهلية دخلت عليه جاهلية أهل الضلال والباطل ، فتجده تنقبض نفسه من هذه الأحاديث ويأنف من سماعها وقبولها والله في القرآن الكريم قال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء:٥٩] فأمر جل وعلا إلى طاعة ولي الأمر ، قال أبو هريرة: «ولي الأمر: أي الأمراء» والنبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من أطاع أميري فقد أطاعني)) ، وجاء عنه في هذا الباب أحاديث كثيرة جدا .

قال: «**فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم**» خالفهم : أي في هذه الجاهلية جاهلية عدم السمع والطاعة والانقياد لولي الأمر .

قال : «**فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالصبر على جور الولاة**» لاحظ هنا ملاحظة أن النبي عليه الصلاة والسلام أمر بالسمع والطاعة حتى للأمير الجائر ، أمر أن يسمع له ويطاع حتى ولو كان أمير جائرا ظالما يسمع الإنسان ويطيع ، لماذا؟ لأن مصلحة المجتمع الإسلامي لا يمكن أن تتحقق إلا بالانتظام ، وساعة

يعيشها الناس مع أمير جورٍ خير من سنوات بلا أمير ، لأنهم بلا أمير تصبح أمورهم فوضى لا حد لها ، أما إذا كان الأمير جائر نعم يتضررون في بعض الجوانب لكن في الجملة أمرهم منتظم والأمن فيهم متحقق ومصالحهم ماضية ومثل هذه الأمور الكبار متحققة ؛ فأمر عليه الصلاة والسلام بالسمع والطاعة حتى وإن جار الأمير وأمر بالصبر ، ولهذا قال: «**وأمر بالصبر على جور الولاة**»؛ جاء في الحديث الصحيح المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من رأى من أميره شيء يكرهه فليصبر)) وهذا قول المصنف «أمر بالصبر» ، قال: ((من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه ، فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتةً جاهلية)) ، قال النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث في معنى قوله ((إلا مات ميتة الجاهلية)) قال: «أي على صفة موتهم من حيث أنهم فوضى لا إمام لهم» ، الجاهلية هذه كانت حالهم فوضى لا إمام لهم . فمن مات مفارق الجماعة منشق عن السمع والطاعة نازعًا يد الطاعة للأمير ومات على هذه الحال يكون مات موتة الجاهلية، لماذا؟ لأن الجاهلية كانت أمورهم فوضى لا إمام لهم ، وإذا وجد إمام لا يسمعون له ولا يطيعون . أيضا جاء عنه عليه الصلاة والسلام في صحيح مسلم أنه قال: ((من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات ليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهلية)) أي مات على الحال التي يموت عليها أهل الجاهلية من أنهم كانوا يعيشون فوضى لا إمام لهم ولا أمير ، فالإسلام جاء بمحاربة ذلك .

ثم قال رحمه الله : «**وأمر بالسمع والطاعة**» وهذا جاء في أحاديث كثيرة ، منها حديث العرباض بن سارية المشهور قال: «وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا» قال: ((أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي))، السمع والطاعة: أي أن تسمع لقوله وتطيع لأمره ((والنصيحة)) وهذا في قوله عليه الصلاة والسلام في حديث تميم بن أوس الداري قال: عليه الصلاة والسلام : ((الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة)) قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال : ((لله ولرسوله ولكتابة ولأئمة المسلمين وعامتهم)) ؛ فالنصيحة لولي الأمر مطلوبة ، وما هي النصيحة ؟ قال أهل العلم في معناها : هي إرادة الخير للغير ، النصح لولي الأمر أن تريد له الخير ، تحب في قلبك له الخير، تحب أن يكون صالحا ، تحب أن يكون تقيا ، تحب أن يكون محكما لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، تحب أن يكون بعيدا عن الأهواء والضلالات ، أيضا تدعو له بالخير والصلاح ، تدعو له أن يصلحه الله ويصلح به البلاد وأن يذهب عنه البطانة الفاسدة وبطانة السوء ، تدعو لهم بذلك ، وإذا رأيت منه شيء تكرهه تنصحه بينك وبينه كما جاء عن نبينا عليه الصلاة والسلام ((من رأى من أميره شيء فليأتي وليأخذ بيده ، فإن قبِل وإلا أدى الذي عليه)) إذا كنت قادرًا على ذلك ، وإذا كنت لست قادرًا بلّغ من أهل العلم وأهل الفضل من يستطيعون ذلك تبرأ ذمتك ذلك ، وتبقى داعيا له بأن يصلحه الله وأن يهديه الله وأن يوفقه الله وأن يبعده عن الظلم وعن إيذاء الناس إلى غير ذلك ، تدعو له فهذه النصيحة ؛ ولهذا قال العلماء رحمهم الله : «إذا

رأيت الرجل يدعو للسلطان فاعلم أنه صاحب سنة ، وإذا رأيته يدعو عليه فاعلم أنه صاحب بدعة» لأن الإسلام جاء بالنصيحة لولي الأمر ، ومن النصح لولي الأمر أن تدعوا له بالصلاح ، ليس معنى أن تدعو له : أنه إذا ظلمك وظلم الآخرين تقول جزاه الله خيرا ، وإنما تدعو له أن يهديه نسأل الله أن يهديه ، نسأل الله أن يصلحه ، نسأل الله أن يبعده عن هذا الظلم ، نسأل الله عز وجل أن يجعله خيرا على البلاد وعلى العباد ؛ هذا مقتضى النصيحة أن تدعو له بالخير والصلاح بالعافية بالهداية ، حتى أن الفضيل بن عياض رحمه الله وهو من أئمة السلف قال كلمة عجيبة قال : «لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان» أي لا أجعلها لنفسي ، لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان لماذا؟ لأن صلاح السلطان له وللناس ، وهذا من فقه السلف رحمهم الله في هذا الباب .

قال: «**وغلَّظ في ذلك وأبدأ وأعاد فيه**» أي تكرر عنه في هذا المعنى أحاديث كثيرة جدا ثبتت عنه عليه الصلاة والسلام ، ومن يقرأ في صحيح مسلم «كتاب الإمارة» يجد عددا كبيرا من الأحاديث عنه صلوات الله وسلامه عليه كلها في التأكيد على هذا المعنى.

قال رحمه الله : «**وهذه الثلاث** -أي الخصال- **هي التي جمع بينها في ما صح عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين**» هذه الثلاث أي : مخالفة المشركين في ما كانوا عليه من الشرك هذا الأول ، وما كانوا عليه من التفرق هذا الثاني ، وما كانوا عليه من عدم السمع والطاعة للأمير وهذا الثالث .

يقول المصنف : «**هذه الثلاث جمعها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الثابت عنه في الصحيحين أنه قال : ((إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم))**» جمع هذه الثلاث في حديث واحد . ولاحظ يا أخي الكريم أن هذه الأمور الثلاث بينها ارتباط وثيق .

الخصلة الأولى قال: ((أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا)) ، وعندما يريد الناس أن يعبدوا الله عز وجل في مجتمعات بأمن وإيمان وطمأنينة أيمكن أن تتحقق لهم هذه العبادة بدون اجتماع ؟ أو لابد من الاجتماع حتى يأمنون على الدماء وعلى الأعراض فيتهيأ لهم الجلوس لطلب العلم والذهاب إلى أماكن العبادة والأمن على الأموال والأعراض إلى آخره ، فهل يمكن أن ينتظم أمر العبادة بدون اجتماع ؟! ولهذا قال : ((أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا)) .

ثم ذكر أمر مرتبط بذلك قال: ((وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)) لأنه إذا تفرق الناس وكثرت فيهم الفتن وعظم فيهم الهرج والقتل غفلوا عن العبادة ولم تتحقق لهم العبادة على وجهها وتمامها ، لأن القلوب شُغلت بالفتن والقتال إلى آخره ، ولهذا قال: ((وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)) .

ثم ذكر الأمر الثالث مرتبط بما سبق قال: ((وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم)) ؛ تناصحوا أي تكونوا ناصحين لمن ولاه الله أمركم ، والنصيحة لولي الأمر: بالدعاء له ، محبة الخير له ، السمع والطاعة له ، عدم نزع اليد من الطاعة ، عدم شق الصف ، عدم الخروج إلى آخره ؛ فهذه أمور كلها منتظمة لا يمكن أن ينتظم أمر المسلمين إلا بها .

ولهذا صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه أيضا جمع هذه الأمور الثلاثة في موعظته التي وعظها الناس في مسجد الخير في منى في حجة الوداع عندما قال عليه الصلاة والسلام : ((نضَّر الله امرئ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرُبَّ حامل فقه غير فقيه ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله ، ولزوم جماعة المسلمين ، ومناصحة من ولاه الله أمرهم)) أو كما قال عليه الصلاة والسلام ، فذكر هذه الأمور الثلاثة : الإخلاص لله ، ولزوم الجماعة ، ومناصحة من ولاه الله تبارك وتعالى أمر المسلمين .

ولاحظ قوله هنا ((ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم))؛ وهذا تنبيه لمفارقة المسلمين ما عليه أهل الجاهلية ، «لا يغل» أي لا يحمل غلًا بل يخلص لله وقلبه مرتاح لذلك مطمئن به ، ويحافظ على الجماعة وهو مغتبط بها سعيد بها فرح بتحقُّقِها ، وأيضا يسمع ويطيع لولي الأمر بدون أَنَفَة وبدون كِبر مما كان عليه أهل الجاهلية ، ولهذا قال : ((ثلاث لا يغل)) أي لا يحمل المسلم عليها غل بل نفسه لينه بها مطاوعة ممتثلة لأن بها سعادة المسلمين في دنياهم وآخراهم .

قال رحمه الله منبهًا على أهمية هذه المسائل الثلاث المجتمعة في هذا الحديث : «**ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو ببعضها**» عندما يُخل الناس بهذه الخصال الثلاث أو ببعضها فإنه يقع عليهم الخلل في دينهم ودنياهم ، أما إذا حققوا العبودية لله والإخلاص له سبحانه واجتمعت كلمتهم وسمعوا وأطاعوا لولي أمرهم فإن مصالحهم الدينية والدنيوية تتحقق ، وأما إذا أخلوا بهذه الثلاث أو ببعضها فإن مصالحهم الدينية والدنيوية تضيع ، وإذا ضاعت مصلحة الدين تبعها ضياع مصلحة الدنيا .

قال رحمه الله تعالى :

الرابعة: أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد؛ فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣] ، **وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾** [لقمان:٢١] ، **فأتاهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾** [سبأ٤٦] **وقوله ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾** [الأعراف:٣] .

****

ثم ذكر رحمه الله الخصلة الرابعة من خصال الجاهلية« **أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد**» انتبه هنا أن دينهم أي العقائد التي هم عليها والأديان التي يمارسونها ويعتنقونها مبنية على أصول أعظمها التقليد .

قوله «على أصول» سيأتي ذكر بعضها ، وبدأ بالتقليد لأنه أعظم أصل عندهم يبنون عليه أديانهم . والمراد بالتقليد: أي أخذ قول الغير بغير دليل ؛ يأخذ القول على عواهنه بدون دليل وبدون معرفة حجة له ولا برهان ، وإنما يأخذ قول الغير لأن الغير معظم عنده ، إما معظم من جهة النسب والد أو جد أو نحو ذلك ، أو معظم من جهة المكانة في المجتمع والمنزلة في المجتمع ، فتجده يقلد الآباء والأجداد ويقلد الأشياخ بدون معرفة الدليل ، وإنما الذي يقولونه هو الحق ولا يبحث في دليل ولا ينظر فيه .

فأعظم أصل كانوا يبنون عليه أديانهم وعقائدهم هو التقليد ، ولهذا اجتمعت كلمة المشركين من أول الزمان إلى آخره على الاحتجاج بهذا الأصل وتقديمه في باب الاحتجاج ، ولهذا بدأ المصنف رحمه الله بهذه الآية وهي قوله ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾ قوله «في قرية» نكرة ، وقوله «من نذير» أيضا نكرة ؛ وهذا يُشعر بأنه عام لكل من كانوا قبلنا من أهل الشرك قبل مبعث نبينا عليه الصلاة والسلام كلهم كانوا على هذا السنن وعلى هذه الطريقة ؛ إذا جاءهم نذير في مكانهم في قريتهم يدعوهم للحق والهدى لا يقبلون دعوته بحجة ماذا ؟ قال ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[الزخرف:٢٣] هكذا يستدلون ، استدلالهم تقليد الآباء كيف ما اتفق وعلى أي حال كانوا ، "نحن وجدنا آبائنا على أمة أي على طريقة وعلى ملة وعلى ديانة ، ونحن على طريقتهم لا نحيد عنها قيد أنملة ولا ننظر في كلامك ولا نلتفت إليه ولا نتفكر فيه ولا نسمع لك ، نحن وجدنا آبائنا على أمة ونحن ماضون على ما كان عليه الآباء" ؛ تقليد أعمى ، أصبح الواحد منهم أسلم عنقه ورقبته إلى هؤلاء يقودونه إلى ما هم عليه من ضلال ، لا يتفكر ولا يتدبر بل ولا يجرؤ أي الواحد منهم أن يقول للكبراء الذين عنده ما الدليل أو ما لحجة على العقيدة التي تعتقدونها؟

وهذه الجاهلية مكَّن لها بعض دعاة الباطل ، ونحن عرفنا فيما سبق ما من خصلة من خصال الجاهلية إلا وسيوجد في الأمة من يفعلها ، مكَّن بعض دعاة الباطل وأئمة الضلال لهذه الخصلة التي هي التقليد الأعمى مكنوا لها في نفوس العوام ، ولهذا بعضهم يقولون –وأنظر إلى هذه الجاهلية– "يجب أن تكون مع الشيخ كالميت مع المغسل" الميت الآن مع المغسل كيف حاله ؟ يقلِّبه تحت فوق إلى آخره ولا يفعل شيء الميت ، يقول أنت تكون مع الشيخ كالميت مع المغسل ، صلي شرق يصلي ، غرب يصلي أي شيء يقول يفعل ، وأيضا يعطونهم قاعدة في الباب يقول "لا تعترض فتنطرد " لا تعترض أي شيء يقوله الشيخ أسمع وأطع ، وإياك أن تقول للشيخ لماذا أنتم

تعتقدون كذا؟ ولماذا تفعلون كذا ؟ ؛ هذه جاهلية تُغرس في نفوس الجهال والعوام ولهذا لا يتفكرون في حق ولا يتدبرون . ولهذا بدأ المصنف رحمه الله بالتنبيه على هذه الجاهلية حتى يحذر المسلم ألا يكون على هذه الجاهلية التي كان عليها أهل الباطل ، بل ينبغي أن يتبين الحق وأن يتبصر ، والحق أحق أن يُتبع ، حتى لو مضيت على الباطل ستين سنة سبعين سنة ثم تبين لي الحق لا غضاضة ، الرجوع إلى الحق خيرٌ من التمادي في الباطل .

قال رحمه الله : «**أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم**» وانتبه لقوله «القاعدة الكبرى» أي التي يبنون عليها أديانهم .

ذكر أيضا قول الله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي المشركين الكفار ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ بماذا يحتجون ؟ وبأي شيء يستدلون على عدم قبولهم ما أنزل الله؟ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ ، ثم يذكر ما يدل على بطلان ذلك يقول: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي لو كان الشيطان يدعو آبائكم إلى ما يؤدي بهم إلى السعير إلى النار أيضا تمشون ؟! أرأيتم شخصا لو كان أباه يمشي أمامه إلى حفرة سحيقة هل يغمض عينيه ويمشي وراءه ويلقي نفسه في الحفرة ؟ أم يقول لأبيه إذا كان أمامه "انتبه هذه حفرة تهلكك لا تمضي فيها" يمنع والده أما هو في نفسه ممتنع ، لكن هؤلاء والعياذ بالله تقليد أعمى وعندهم أنفة من أن يخرج الواحد منهم عن دين آبائه . حتى أن بعضهم قد عرف أن دين محمد عليه الصلاة والسلام هو الدين الصحيح ولكنه لم يفارقه لأجل هذا التقليد الأعمى .

واعتبروا هنا أيها الأخوة بقصة أبي طالب عم النبي ، يقول المسيب ابن حزن : لما حضرت أبا طالب الوفاة أتى النبي صلى الله عليه وسلم إليه وجلس عنده، وكان عنده بعض رؤوس الكفار منهم أبو جهل وعبد الله ابن أمية كانوا جالسين عنده ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : ((يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله)) فقال له أبو جهل ومن عنده : «بل على ملة عبد المطلب» أي بل قل على ملة عبد المطلب ، لماذا هذا السؤال أنبهكم أن تجيلوا الفكر فيه لماذا قال له بل على ملة عبد المطلب ؟ يعني لماذا لم يقل "بل على دين عبادة الأصنام" ، "بل على الدين الذي نشأنا عليه"؟ نص على كلمة على ملة عبدالمطلب ؛ «بل على ملة عبد المطلب» ؟ لأن هذا أصل كبير متمكن في النفوس ، مثل عندنا «قال الله تعالى» تماما ، إذا قلت للمسلم "قال الله تعالى" يعظم القرآن تعظيما بليغا يقول ليس لي كلمة مع قال الله تعالى ، هذا أصل كبير يعتبر عندهم ولهذا ذكَّره بهذا الأصل الكبير دون غيره ، قال «بل على ملة عبد المطلب» يعني على التقليد الذي نحن عليه للآباء والأجداد ما نتحرك عنه قيد أنملة ، فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم عليه قال ((يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله)) قالوا له : بل على ملة عبد المطلب ، فمات والعياذ بالله وهو يقول : هو على ملة عبد المطلب ، وحزن النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ((لأستغفرن لك ما لم أُنه عن ذلك)) ، فأنزل الله عز وجل قوله ﴿مَا كَانَ

لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى ﴾[التوبة:١١٣] وأنزل الله تسليةً لنبيه قوله سبحانه ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾[القصص:٥٦] . فهذه حجة مضى عليها أهل الشرك وهي كبرى حججهم وأعظم أصولهم التي يبنون عليها أديانهم وعقائدهم .

قال المصنف : «**فأتاهم** -أي النبي عليه الصلاة والسلام- **بقوله** ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾[سبأ:٤٦]» لأنهم قالوا فيما قالوا في شأن النبي عليه الصلاة والسلام إنه لمجنون ، وقالوا كاهن ، وقالوا ساحر ، إلى آخر ذلك ؛ فالنبي عليه الصلاة والسلام طلب منهم أن لا يستمعوا لهذه الكلمات هكذا بل يتفكروا .

ما وجه الشاهد من الآية لذم التقليد ؟ المقلِّد يأخذ قول الآخر بدون دليل وبدون تفكر وبدون تدبر ، أما الذي يتفكر ويتدبر وينظر في حقيقة الأمر تنكشف له حقائق غير الذي قيلت له ، أنا أضرب لكم مثلا جميلا من أجمل ما يكون في هذا الباب؛ في صحيح مسلم حديث ابن عباس في قصة ضِمام الأزدي ، ضمام الأزدي جاء إلى مكة في أول مبعث النبي عليه الصلاة والسلام فكان إذا مشى في طرقات مكة يسمعهم يقولون "إن محمدًا مجنون" ، انتبه معي للآية ﴿ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾، هم بينهم يروّجون في الناس "محمد مجنون" ، وكلما جاء شخص إلى مكة من الغرباء قالوا له : انتبه عندنا واحد أسمه محمد مجنون لا تقربه ، عقله مختل لا تأتي عنده ولا تسمع له ، إذا أخذ قولهم هكذا كما قالوه قبِله بدون دليل وبدون تفكر لن يقرب من محمد عليه الصلاة والسلام أبدا ولا يسمع له ، من الذي يريد أن يجالس مجنونا !! من الذي عنده وقت يذهب ويجالس مجنون أو يسمع لمجنون !! فكانوا يضعون هذه الكلمات للصد . ضمام دخل مكة فكان يسمع الناس في الشوارع يقولون "محمد مجنون" الكلمة فاشيه في مكة ، الله أكبر !! الآن في مكة تتردد «محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم» وفي ذاك الوقت كان مكة يتردد فيها وفي أرجائها وفي شوارعها وبين الناس "محمد مجنون" هذا الذي كان يتردد في طرقات مكة وفي شوارع مكة محمد مجنون وكل ما دخل واحد لا يسمع من الناس إلا هذه الكلمة . ضمام دخل إلى مكة وسمع الناس يقولون "محمد مجنون" فماذا قال؟ قال: «إنني راق» كان يرقي وبعض أهل الجاهلية كان عندهم الرقية ، وفي الحديث قال النبي عليه الصلاة والسلام ((أعرضوا علي رقاكم ، لا بأس بالرقية ما لم تكن شِركا)) ، قال : «إنني لراقٍ وشفى الله على يدي من شاء ، لئن لقيت محمدا لأقرأن عليه لا أرقينه لعل الله يشفيه على يدي» مجنون!! أنا ارقي رقيت عدد وشفاهم الله على يدي ، لئن لقيت محمدًا لا أقرأن عليه لعل الله يشفيه على يدي ، فلما لقي النبي عليه الصلاة والسلام عرض عليه أن يرقيه قال له : «إنني لراق وإن الله شفى على يدي من شاء من عباده فهل لك في ذلك؟» يعني تريد أقرأ عليك لعل الله يشفيك من هذا الذي أنت فيه ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : ((إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا

، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله)) قال الرجل : أعد علي كلامك هذا ، كلام عظيم جدا ، كلام من أكبر الكلام واعظم الكلام وأفخم الكلام وأجمل الكلام ، هذه الكلمات جمعت الدين كله وجمعت الجمال كله ، من أجمل الكلام وأبدعه ، كلام من أقوى ما يكون ، شيء آخر غير الدعايات التي تروَّج والتي تُبث، أعجبه الكلام غاية الإعجاب وشدَّه قال: «أعد علي كلامك هذا» فأعاده النبي عليه الصلاة والسلام فماذا قال ضمام؟ قال : «لقد سمعتُ كلام السحرة وما هذا بكلامهم ، وسمعت كلام الكهنة وما هذا بكلامهم ، وكلام المجانين وليس هذا بكلامهم ، أعطني يدك أبايعك على الإسلام» فقال النبي صلى الله وسلم : ((عنك وعن قومك؟)) قال : «عني وعن قومي» كان سيدًا في قومه ، فبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام عنه وعن قومه ، أسلم هو وقومه .

الله عز وجل هنا يقول : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ أعمِل عقلك وفكر وانظر فيما يقال لك ، أما أن يقول لك كلام هكذا بدون دليل وبدون حجة وبدون برهان تصدق كلامة !! أنا سأضرب مثالا لابد أن أضربه في هذا المقام ، من باب الإنصاف والأمانة التي نبرئ بها الذمة أمام الله سبحانه وتعالى . أذكر مره كنت في إحدى الدول فجمعني مجلس في سيارة مع رجل جميل في هندامه وفي هيئته ومظهره ، ونحن في السيارة وأنا إلى جنبه التفت علي قال: أنت من أي البلاد ؟ فعرفته بنفسي ، فقال: في ضمن كلام له قال: "عندكم محمد بن عبد الوهاب هذا رجل يكره النبي صلى الله عليه وسلم ويكره آل البيت" قلت سبحان الله يكره النبي ويكره آل البيت !! قال: نعم ، قلت: هذا كفر بالله عز وجل ، أين وجدت هذا الكلام نسأل الله العافية ، في أي كتاب من كتبه وجدت أنه يكره النبي ، قلت له محمد بن عبد الوهاب كما تعرف –ولا أدري هل يعرف ذلك أو لا– مات أكثر من مئة سنه وله كتب ، في أي كتاب من كتبه وجدته يعلن كراهيته للنبي عليه الصلاة والسلام ويعلن كراهيته لآل البيت ؟ قال: موجود ، قلت: أعطني الموجود وين الموجود هذا كتبه موجودة حتى هنا عندكم ، إذا تحب نجلس أنا وإياك نذهب ونقرأ في كتبه أربي هذا حتى أنا أرجع نذيرا للناس أحذرهم من هذا الرجل الذي يكره النبي ، "يا أخي وين هذا الكلام؟" بهذه الصفة أنا كنت أتحدث معه ، قلت يا أخي أطلعني على هذا؟ قال: موجود قلت: أعطني الموجود ، قلت: أنا سأزيدك من الأمر ، إذا أعطيتني من كتبه هذا الذي تذكره عنه أنا سأعطيك لقاء أتعابك وجهدك وتعاونك معي سأعطيك مبلغ –وأعطيته مبلغ مغري جدًا من المال– قلت هذا المبلغ وكان معنا سائق السيارة وشخص آخر راكب كان يسمعون الحوار الذي بيني وبينه ، فالتفت علينا سائق السيارة متفاعلا مع الحديث وقال : أيوه صح أمش معاه وطلّع له الكلام ويعطيك المبلغ ، قلت: له تجي معانا ؟ قال: انا أجي معاكم كمان ، وكنا متفاعلين في الحديث قلت أعطيني الكلام أنا أبغى نص واحد فقط في أي من كتبه أنه يكره النبي صلى الله عليه وسلم ويكره آل البيت؟ فسكن قليل قال: يعني

مش موجود؟ قلت: كيف يعني مش موجود؟ أنت الآن الذي تقول أنه يكره النبي ويكره آل البيت أنت الذي تثبت لي ، أعطني الشيء الذي تقوله من كتبه ، فالآن لماذا تقول لي ما هو موجود؟ أنت لم تقول أنه يكره معناه أنك عندك حجج وعندك أدله تثبت ذلك قاطعه ، هل ترضى أني أنسب لك شيء الآن وأنا ما رأيت وما عندي دليل عليه؟ قال: لا ما أرضى. قلت: كيف ترضى لهذا العالم والإمام أن تنسب له كفر بالله سبحانه وتعالى وأنت ما عندك دليل ولا برهان !! قلت: له يا أخي الشيخ محمد بن عبد الوهاب له ستة أولاد تدري ما أسمائهم ؟ قال: لا قلت: واحد أسمه الحسن ، وواحد الحسين وعلي وإبراهيم وعبدالله وفاطمة كلهم بأسماء آل البيت ، وواحد أسمه عبدالعزيز ليس اسماً من أسماء آل البيت ، والباقين كل أولاده سماهم على آل البيت هذا ماذا ؟ قال :كيف؟ قلت: ما أدري أنت الآن الذي تبين لنا الأمر، قلت: الآن أنا سأنهي معك الحديث بكلمة واحدة ، قلت: أنت ستقف أمام الله سبحانه وتعالى بكلماتك هذه إذا لم تتب منها ستلقى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ويكون خصمك هذا الرجل الذي تفتري عليه وتتقول عليه ما هو منه براء ، وما يبرأ منه أقل مسلم فضلا عن إمام جليل من أئمة المسلمين ، وقلت له : أنا أزيدك من الأمر أنا ملتزم لك أن أُطلِعك في كتبه كلها تعظيم النبي عليه الصلاة والسلام وتوقيره والذب عنه واحترامه صلى الله عليه وسلم والذب عن سنته والذب عن آل بيته وبيان مكانة آل البيت وفضلهم إلى غير ذلك ، هذا كله موجود في كتب الشيخ قال: عجيب!

فالشاهد أن بعض الناس عندهم تقليد أعمى ، والتقليد الأعمى: قبول قول الغير بلا دليل ، ويمشي في مثل هذا التقليد الأعمى والعياذ بالله ويمضي عليه ثم يموت والعياذ بالله وهو عدو للدين وعدو لأولياء الله عز وجل وعدو للصالحين من عباده . الشاهد أن المصنف هنا قال: «**فأتاهم الله بقوله ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾**» ، الشاهد من الآية : أن الله دعاهم للتفكر ، والتفكر أمر لا يقوم به المقلد التقليد الأعمى .

قال: «**وقوله ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾** [الأعراف:٣] » الشاهد من هذه الآية : أن الله عز وجل أمر بإتباع المنزَّل منه سبحانه وتعالى ، وحذَّر من إتباع الأولياء من دونه الذين يدعون الناس إلى تقليدهم والأخذ عنهم بلا حجة ولا برهان .

هذه المسألة الرابعة من المسائل التي خالف النبي صلى الله عليه وسلم فيها أهل الجاهلية ، ومن نجاه الله عز وجل من مثل هذا التقليد الأعمى ولاسيما في مثل هذا الزمان لشيوخ الباطل وأئمة الضلال يوفقه الله سبحانه وتعالى لكل خير . ولعلي أختم الحديث بقصة أخرى مفيدة في بابنا ذكرها لي رجل من الجمهوريات الإسلامية التي أنحلت وخلصها الله عز وجل مما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي ؛ رأيت رجل في تلك المناطق قال لي قصة عجيبة ، قال : أول رجل عربي زارنا بعد الانفتاح رجل من بلاد كذا ، سمى لي بلده ولا حاجة لي بذكر بلده ، فألقى كلمة

عندنا فالمسجد فألححتُ عليه أن يأتي عندنا بالبيت ، يقول وكان قبل مجيئه كان وصلني كتاب جميل جدا للشيخ محمد بن عبد الوهاب كله آيات وأحاديث قرأته وأعجبني ؛ آيات وأحاديث قال الله قال رسوله صلى الله عليه وسلم ، يقول أعجبني الكتاب وقرأته كثيرا ، يقول فجاء الرجل وجلس عندي وكان الكتاب بجنبه فلما رآه وقرأ اسم الشيخ رمى الكتاب بقوة في الأرض وقال كيف تدخل مثل هذا الكتاب؟ وذكر ألفاظ قبيحة له يقول أنا هالني الأمر مع أني قرأت الكتاب أكثر من مرة لم أرى فيه إلا آيات وأحاديث ، وتفكرت في الأمر قلت إذا كان هذا الكتاب في باطل فالباطل في الآيات والأحاديث لأن الكتاب ليس فيه إلا آيات وأحاديث ، يقول هكذا تفكرت في الأمر ، ثم ذهبت إلى الكتاب وحملته برفق وأدب مع الكتاب مع كلام الله وكلام رسوله ورجعت إلى الشيخ مرة ثانية وجلست بجنبه وقلت أنا رجل ما عندي علم وأنت رجل عالم هذا الكتاب تفضل أقرأ الكتاب وأطلعني على بعض الباطل الذي فيه ، أنت الآن تقول فيه باطل أطلعني حتى أستفيد وأحذر من الكتاب ، يقول أنا في قراره نفسي مطمئن ما فيه شيء لأنه آيات وأحاديث مجمعه جمعها الشيخ ورتبها رحمه الله ، يقول أنا مطمئن ما غيه خطأ يقول فمسك الرجل الكتاب وقلَّبه ينظر فيه من أوله إلى أن وصل صفحة الغلاف ، صاحب القصة هو الذي يحدثني بنفسه يقول إلى أن وصل إلى الغلاف ، يقول ولما وصل إلى الغلاف قال الأمر يحتاج إلى دراسة الآن ما عندنا وقت ، عرفت أن ما فيه ، تفكر الرجل ، أما الذي يأخذ الكلام هكذا على عواهنه يضله أئمة الضلال الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم عنهم ((إن أخوف ما أخاف على أمتي أئمة الضلال)) .

وأسأل الله عز وجل ألا يجعل في قلبنا غلا لأحد من عباده المؤمنين ؛ ولا سيما الأئمة المصلحين والدعاة المجددين أئمة الهدى وأئمة الحق وأنصاره . نسأل الله عز وجل أن يصلحنا ، وأن يهدينا ، وأن يهدي لنا وأن يهدي بنا ، وأن ييسر الهدى لنا ، وأن يبارك لنا أجمعين في أوقاتنا وأعمارنا وذرياتنا وأموالنا ، وأن يجعلنا مباركين أينما كنا ، وأن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا ، وأن يجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، والموت راحة لنا من كل شر ، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنه تبارك وتعالى غفور رحيم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.